لدافعين مرتبطين ببعضهما البعض: الاول، جذب اهتمام أسرة الجغرافيين العالمية الى الاهتمام بجغرافيا اسرائيل، وبالتالي الاعتراف، ضمناً، بما أنتجه الجغرافي الاسرائيلي، والذي سوف يشكّل قاعدة لكل من يريد ان يبحث، لاحقاً، في جغرافيا البلاد. لقد استغل الجغرافيون الاسرائيليون، بصورة منهجية، ظواهر جغرافية طبيعية وحضارية متنوّعة، تتميّز بها جغرافيا البلاد الطبيعية والبشرية، وعرضوا هذه الظواهر بغرض اجتذاب اهتمام أسرة الجغرافيين العالمية. ففي مقدمة الكتاب الذي عَرَض مجموعة أوراق العمل الاسرائيلية في مؤتمر الجغرافيين العالمي الثالث والعشرين، في الاتحاد السوفياتي، العام ١٩٧٦، أشار عميران، بوضوح، الى تلك العناصر المميّزة والتي تُكوِّن جغرافيا البلاد المميّزة؛ «بفارق ملحوظ للمناطق الواسعة والابعاد القارّية للاتحاد السوفياتي، فان الالتقاءات المتقاربة للطوبوغرافيا المتنوّعة، والمتمثّلة في غور الاردن، الذي ينخفض في البحر الميت الى أوطأ نقطة في الارض، نوعان من المناخ، تاريخ استقرار بشري غني، وسكان مغامرون [طلائعيون]. هذا ما يجعل جغرافيا اسرائيل موضوعاً ساحراً، على الرغم من حجم البلاد الصغير. أكثر من ثلاثة آلاف سنة من سجل تاريخي، وأهمية البلاد الروحية، وخاصة القدس عاصمتها، ذات الديانات التوحيدية الثلاث؛ كل هذا يعطي لجغرافيا اسرائيل أبعاداً ومقاييس خاصة مميّزة»(١٥).

أمّا الدافع الثاني الى ابراز العنصر الاستثنائي في الجغرافيا الاسرائيلية، فربما يعود الى عوامل ايديولوجية عقائدية وتربوية تؤثر في نمط التفكير الاسرائيلي. فأسطورة كون اليهود «شعب الله المختار»، الذي ينتظر العودة الى «أرض الميعاد»، تدفع الباحث الاسرائيلي الى استخلاص نتيجة استثنائية مميّزة لحالته الدراسية؛ وتنعكس هذه الاسطورة في بحوثه بصورة واضحة، عندما يحاول اتباع أسلوب المقارنة مع شعوب أخرى، أو بلدان أخرى. فالبحوث الجغرافية التي كتبت حول زراعة المناطق الصحراوية، وتجفيف المستنقعات، واستغلال الموارد الطبيعية، والمحافظة على المحميات الطبيعية، أو توطين البدو، لم تأت لغرض اظهار انجازات الدولة فحسب، بل جاءت لاظهار «العنصر المميّز» لليهود في استغلال قدراتهم، والتي «أخفق غيرهم» في استغلالها. وهنا تجدر الاشارة الى ان احدى الدعائم المركزية التي ارتكز عليها وعد بلفور، منذ العام ١٩١٧، باقامة «وطن قومي» لليهود في فلسطين، انبثق من روح الاسطورة الصهيونية الخاصة بمقدرة اليهود على استغلال ثورة البلاد بصورة أفضل، الامر الذي يعود بالمنفعة على جميع السكان. وهكذا، فان البحوث الاسرائيلية التي نُشرت، بعد قيام اسرائيل، حول الزراعة في الصحراء، وحول فكرة الكيبوتس وتنشيط الزراعة، جاءت لتقول للعالم «ان اليهود يستحقون دولة، وقد أنجزوا ما وعدوا به». وفي كلام آخر، فقد كتب الجغرافي الاسرائيلي نصوصاً جغرافية حسب ما أراد ان تكون الجغرافيا، وليس كما هي عليه في الحقيقة. ان نظرية تحويل الصحراء الى جنّة خضراء هي مجرد اسطورة؛ والعكس هو الصحيح، فان ما يستغل، اليوم، من أرض زراعية في النقب هو حوالى مليون وثلاثمئة الف دونم؛ بينما ما توصلنا اليه من تجميع معلومات واحصائيات وثائقية حول مجموع الاراضي التي استغلها بدو النقب للزراعة، قبل العام ١٩٤٨، أكثر من ذلك بكثير، وقد تصل الى ضعف، وضعفي، ما يُستغل اليوم في النقب للزراعة، وذلك حسب المصادر المختلفة. وعليه، فان الاسرائيليين، عملياً، لم يحوّلوا أراضي جيدة في النقب الصحراوي الى أرض زراعية اضافية، بل أهملوا أرضاً واسعة تصلح للزراعة، وبقيت بدون استعمال زراعي، أو انها حُوِّلت لاستعمالات أخرى غير زراعية.

لعبت الجغرافيا التاريخية الاسرائيلية دور الأسد في «أسرلة» جغرافيا فلسطين البشرية ودعم الاسطورة الصهيونية الخاصة بالاستعمار الصهيوني لفلسطين، قبل العام ١٩٤٨. فحتى